

مقدمة
ابن خلدون

وهي الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر...

تأليف
عبد الرحمن بن محمد بن خلدون

بتحقيق
المستشرق الفرنسي
أ. م. كاترمير

عن طبعة باريس سنة ١٨٥٨

المجلد الأول

MIDDLEBURY COLLEGE LIBRARY

مكتبة لبنان

ساحة رياض الصلح

بيروت

والبقا لله وحده واعتبر ذلك في أمة الفرس كيف كانت
 قد ملأت العالم كثرة ولما فنيت حاميتهم في أيام العرب
 بقى منهم كثير واكثر من الكثير يقال ان سعدا احصى من
 وراء المداين فكانوا مائة الف وسبعة وثلاثين الفا منهم سبعة
 وثلاثون الفا رب بيت ولما تحصلوا في ملكة العرب
 وقبضة القهر لم يكن بقاؤهم الا قليلا ودثروا كان لم يكونوا
 ولا تحسبن ذلك لظلم نزل بهم او عدوان شملهم فملكة
 الاسلام في العدل ما علمت وانما هي طبيعة في الانسان
 اذا غلب على امره وصار آلة لغيره ولهذا فانما يذعن للرق
 في الغالب امم السودان لنقص الانسانية فيهم وقربهم من
 عرض الحيوانات العجم كما قلناه او من يرجو بانتظامه في
 ربة الرق حصول رتبة او افادة مال او عز كما يقع للترك
 بالمشرق والمعلوجا من الجلالقة والافرنجة بالاندلس فان
 العادة جارية باستخلاص الدولة لهم فلا يانفون من الرق لما
 يؤملونه من الجاه والرتبة باصطفاء الدولة والله اعلم

فصل في ان العرب لا يتغلبون الا على البسايط

وذلك انهم بطبيعة التوحش التي فيهم اهل انتهاب وغيث
 ينسهبون ما قدروا عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر ويفرون
 الى منتجعهم بالفقر ولا يذهبون الى المزاحفة (1) والمحاربة الا اذا

(1) مزاحفة D. مراجعة B. مزاحفة A. Man.

دافعوا بذلك عن انفسهم فكل معقل او مستصعب عليهم فهم تاركوه الى ما سهل عنه ولا يعرضون له والقبائل الممتنعة عليهم باوعار الجبال بمنجاة عن عيئهم وفسادهم لانهم لا يتستون اليهم الهضاب ولا يركبون الصعاب ولا يحاولون الخطر واما البسايط فمتى اقتدروا عليها بفقدان الحامية وضعف الدولة فهي نهب لهم وطعمة لاكلهم يرددون عليها الغارة والنهب والزحف لسهولتها عليهم الى ان يصبح اهلها مغلبين لهم ثم يتعاورونهم باختلاف الايدي وانحراف السياسة الى ان ينقرض عمرانهم والله قادر على خلقه

فصل فى ان العرب اذا تغلبوا على الاوطان اسرع اليها الخراب

والسبب فى ذلك انهم امة وحشية باستحكام عوايد التوحش واسبابه فيهم فصار لهم خلقا وجبلة وكان عندهم ملذوذا لما فيه من الخروج عن ربة الحكم وعدم الانقياد للسياسة وهذه الطبيعة منافية للعمران ومناقضة له فغاية الاحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتقلب وذلك مناقض للسكون الذى به العمران ومناف له فالجبر مثلا حاجتهم اليه لنصبه انا فى اللقدور فينقلونه من المبانى ويخربونها عليه ويعدونه لذلك والخشب ايضا انا حاجتهم اليه ليعمدوا به خيامهم ويتخذوا الاوتاد منه لبيوتهم فيخربون

PROLÉGOMÈNES
d'Fbn-Khalidoun.

السقف عليها لذلك فصارت طبيعة وجودهم منافية للبناء
الذي هو اصل العمران هذا في حالهم على العموم وايضا
فطبيعتهم انتهاب ما في ايدي الناس وان رزقهم في
ظلال رساحهم وليس عندهم في اخذ اموال الناس حدّ ينتهون
اليه بل كلما امتدت اعينهم الى مال او متاع او ماعون
انتهبوه فاذا تم اقتدارهم على ذلك بالتغلب او الملك
بطلت السياسة في حفظ اموال الناس وخرّب العمران وايضا
فلانهم يكفون على اهل الاعمال من الصنایع والحرف اعمالهم
لا يرون لها قيمة ولا قسطا من الاجر والتمن والاعمال كما
سندكرة هي اصل المكاسب وحقيقتها فاذا فسدت الاعمال
وصارت مجانا ضعفت الآمال في المكاسب وانقبضت الايدي
عن العمل واندعر الساكن وفسد العمران وايضا فانهم
ليست لهم عناية بالاحكام وزجر الناس عن المفاسد ودفاع
بعضهم عن بعض انما همّتهم (1) ما ياخذونه من اموال الناس نهبا
او مغرما فاذا توصلوا الى ذلك وحصلوا عليه اعرضوا عما
بعده من تسديد احوالهم والنظر في مصالحهم وقهر بعضهم
عن اعراض المفاسد وربّما فرضوا العقوبات في الاموال حرصا
على تحصيل الفائدة والجبابة والاستكثار منها كما هو
شأنهم وذلك ليس بمغني في دفع المفاسد وزجر المتعرض

(1) Man. A. et B. همّهم. C. همّهم.

لها بل يكون ذلك زايدها فيها لاستسهال العزم في جانب حصول الغرض فتبقى الرعايا في ملكتهم كأنها فوضى دون حكم والفوضى مهلكة للبشر مفسدة للعمران بما ذكرناه من ان وجود الملك خاصية طبيعية للانسان لا يستقيم وجودهم واجتماعهم الا بها وتقدم ذلك اول الفصل وايضا فهم متنافسون في الرياسة وقل ان يسلم احد منهم الامر لغيره ولو كان اباه او اخاه او كبير عشيرته الا في الاقل وعلى كره من اجل الحياء فيتعدد الاحكام منهم والامراء وتختلف الايدي على الرعية في السجاية والاحكام فيفسد العمران وينتقض قال الاعرابي الوافد على عبد الملك لما ساله عن الحجاج واراد الثناء عليه عنده بحسن السياسة والعمران فقال تركته يظلم وحده وانظر الى ما ملكوه وتغلبوا عليه من الاوطان من لدن الخليفة كيف تقوض عمرانته واقفر ساكنه وبدلت الارض فيه غير الارض فاليمن قرارهم خراب الا قليلا من الامصار وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانته الذي كان للفرس اجمع والشام لهذا العهد كذلك وافريقية والمغرب لما اجاز اليهما بنو هلال وبنو سليم منذ عهد المائة الخامسة وتمرسوا بها ثلاثماية وخمسين من السنين قد لحقا بها وعادت بسايطه خرابا كلها بعد ان كان ما بين السودان والبحر الرومي كله عمراننا يشهد بذلك آثار العمران فيه

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

من العالم وتمثيل البناء وشواهد القرى والمدائن والله
وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين

فصل في ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة (1)

دينية من نبوة او ولاية او اثر عظيم من الدين

على الجملة

والسبب في ذلك انهم لخلق التوحش الذي فيهم اصعب
الامم انقيادا بعضهم لبعض للغلظة والانفة وبعد الهمة والمنافسة
في الرياسة فقل ما تجتمع احوالهم فاذا كان الدين بالنبوات
او الولاية كان الوازع لهم من انفسهم وذهب خلق الكبر
والمنافسة منهم فسهل انقيادهم واجتماعهم وذلك بما يشملهم
من الدين المذهب للغلظة والانفة الوازع عن التحاسد
والتنافس فاذا كان فيهم النبي او الولي الذي يبعثهم على
القيام بامر الله تعالى ويذهب عنهم مذمومات الاخلاق
وياخذهم بمحمودها ويولف كلمتهم لاطهار الحق ثم اجتماعهم
وحصل لهم التغلب والهلك وهم مع ذلك اسرع الناس
قبولا للحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الهلكات وبرانها
من ذميم الاخلاق الا ما كان من خلق التوحش القريب
المعانة المتهى لقبول الخير ببقاياه على الفطرة الاولى وبعده
عما ينطبع في النفس من قبيح العوايد وسوء الهلكات فان

(1) Man. B et D. صيغة. C. صنعة.

كل مولود يولد على الفطرة كما ورد في الحديث وقد تقدم

فصل في ان العرب ابعد الامم عن سياسة الهلك

والسبب في ذلك انهم اكثر بداوة من ساير الامم وابتعد
مجالا في القفر واغنى عن حاجات التلؤل وحبوبها لاعتيادهم
الشطف وحشونة العيش فاستغنوا عن غيرهم فصعب انقياد
بعضهم لبعض لا يلافيهم ذلك وللتوحش ورئيسهم محتاج اليهم
غالبا للعصبية التي بها المدافعة فكان مضطرا الى احسان
ملكتهم وترك مراغمتهم ليلا يختل عليه شأن عصبته فيكون
فيها هلاكه وهلاكهم وسياسة الهلك والسلطان تقتضى
ان يكون السائس وازعا بالقهر والا لم تستقم سياسة وايضا
فمن طبيعتهم كما قدمناه اخذ ما في ايدي الناس خاصة
والتجافى عما سوى ذلك من الاحكام بينهم ودفاع بعضهم
عن بعض فاذا ملكوا امة من الامم جعلوا غاية ملكهم الانتفاع
باخذ ما في ايديهم وتركوا ما سوى ذلك من الاحكام
بينهم وربما جعلوا العقوبات على الهفاسد في الاموال حرصا
على تكثير الجبايات وتحصيل الفوائد فلا يكون ذلك
وازعا وربما يكون باعنا بحسب الاغراض الباعثة على الهفاسد
واستهانة ما يعطى من ماله في جانب عرضه فتنمو الهفاسد
بذلك ويقع تخريب العمران فتبقى تلك الامة كأنها فوضى
مستظيلة ايدي بعضها على بعض فلا يستقيم لها عهـران